شخصيات بورخيس بين الواقع والمتخيل: "كتاب الرمل" أنموذجاً

The characters of Borges between the reality and the fiction : "The book of sand" example

د. الجيلالي الغَزَّابي[1]،*[*]

[1] جامعة محمد الأول، وجدة - المغرب

تاريخ الاستلام : 2019-12-23؛ **تاريخ القبول :** 2020-09-06 ؛ **تاريخ النشر :** 2020-11-30

ملخص:

تتناول هاته الدراسة شخصياتِ الأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس بين الواقع والمتخيل في متنه "كتاب الرمل"، وافتتحتها بمقدمة حول كون الشخصية عمادَ علم السرد، وقسمتها إلى عنصرين، عالج أولهما الشخصياتِ الواقعيةَ والمتخيلةَ، وثانيهما العلاقاتِ بينها، وختمتها بخلاصة تركيبية، بينت فيها أن بورخيس وظف شخصياتٍ واقعيةً حقيقيةً، وذكر أسماءَها المعروفةَ وبعضَ تواريخ ما قامت به من أحداث، ووظف شخصياتٍ متخيَّلةً، حلم بها، وأملاها عليه خياله الواسع المجنح، وجادت بها عليه قريحتُه الجياشةُ المتفجرةُ.

الكلمات المفتاحية : علم السرد ؛ الشخصية ؛ الواقع ؛ المتخيل ؛ خورخي لويس بورخيس ؛ كتاب الرمل

Abstract:

This study treats the characters of the Argentine writer Jorge Luis Borges between reality and fiction through his corpus "The book of sand". I started with an introduction to the fact that the character is the pillar of narratology, and I divided it into two elements:the first treated the real and imaginary characters, and the second the relations between them. And I finished it with a conclusion that showed Borges used real characters and fictional characters...

Keywords: The narratology ; The character ; The reality ; The fiction ; Jorge Luis Borges ; The book of sand

*المؤلف المرسل: abouwael01@hotmail.fr

مقدمة:

تعتبر الشخصية ركنَ علم السرد الركين، وتبقى أشد عناصر الشعرية غموضا، ويرى بعض منظري علم السرد أن لها أكثرَ من وظيفة تركيبية. وبمعنى أدق، فإنه يكمن اعتبار الشخصية مجموعة الأوصاف والخصائص التي تتسم بها أثناء عملية الحكي[1]...

لقد ضَمَّت مجموعةُ "كتاب الرمل"[2]_[3] القصصيةُ للأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس[4] شخصياتٍ رئيسةً واقعيةً حقيقيةً، أبرزها خورخي لويس بورخيس الرجل، وجده الأكبر، وجدته، وأبوه، وأمه، ونورا أخته، وابن عمه ألفارو ميليان لافينيور، ولي روزنتال، وهربرت لوك، وإريك أينارسن، وأزرا ونثروب، ويودورو أسيفيدو، وخافير أوتالودا، ودون أليخاندرو غلينكوي، وأليخاندرو فيري، وخوزيه فرناندیز أيرالا، وتويرل، وفيرمين أيغورين، ونيرنشتاين، وغونلاوغ، وأولف سغوردسن، وبخاريني ثوركيلسن، وغلينكوي الأب، وبياتريس فروست، ونورا أيرفخورد، وأولريكا، وثابيا أو باريديس. وحوت شخصياتٍ متخيلةً، منها الرجل المستقبلي، وخورخي لويس بورخيس الشاب...

أولا:_كتاب الرمل:_الشخصيات الواقعية والمتخيلة

أ_الشخصيات الواقعية

***_خورخي لويس بورخيس الرجل:** في شهر شباط/فبراير من سنة تسع وستين وتسعمائة وألف ميلادية (شباط 1969م)، في حوالي الساعة العاشرة صباحا، كان بورخيس الرجل في السبعين من عمره، يجلس فوق أحد المقاعد المطلة على نهر تشارلز بمدينة كامبرج، يفكر في الزمان وفي محاضرته التي استقطبت اهتمام طلبته عصر اليوم السالف.

***_جد بورخيس الأكبر:** جلب إلى البيت قدحاً فضيّاً من دولة البيرو، له قاعدة على شكل ثعابينَ مضفورة.

***_جدة بورخيس:** قضت في البيت نفسه الذي مات فيه والده. قبل وفاتها ببضعة أيام، دعتهم جميعا، وأخبرتهم بأنها امرأة عجوزٌ تموت موتاً بطيئاً جدّاً، وأمرتهم بألا يكترثوا لأمرها.

***_أبو بورخيس:** شخص يمزح بنكته المارقة ضد الدين... مات دون شكوى بنوبةٍ قلبيةٍ منذ ثلاثين عاماً خلت، وكان الشلل النصفي قد قضى عليه، فكانت يده اليسرى فوق يده اليمنى كيد طفلٍ في يد ماردٍ.

***_أم بورخيس:** ما تزال في صحةٍ جيدةٍ ببيتها في مدينة كاركاس.

***_نورا:** أخت بورخيس، تزوجت، وأنجبت طفلين.

*_**ألفارو ميليان لافينيور**:اِبن عم خورخي لويس بورخيس، مات منذ سنوات عديدة، تذكره لما سمع صفير خورخي لويس بورخيس الشاب.

*_**لي روزنتال**:رئيس قسم الدراسات في جامعة تكساس. كان في إجازة، وطلب من أزرا ونثروب بأن ينتقيَ أستاذاً يلقي بحثاً في المؤتمر المقبل في وسكونسن.

*_**هربرت لوك**:أستاذٌ إيسلنديٌّ بجامعة تكساس، كان شخصاً خجولاً ميالاً إلى الصمت. له كتاب "نحو تاريخ للمجاز"، وكان يشتغل على تصنيف معجمٍ جرمانيّ إنجليزيٍّ، يوفر على القراء عبءَ المعاجم الاشتقاقية.

*_**إريك أينارسن**:أستاذٌ إيسلنديٌّ طويلٌ متهورٌ نشيطٌ هادئٌ. جاء تكساس سنة تسع وستين وتسعمائة وألف ميلادية (1969م)، وصار مدرساً بجامعتها فور وصوله إليها، وكان شعره أحمر، فلقبه طلبته بإريك الأحمر... عالم جاد في اللغات النوردية والإنجليزية واللاتينية والألمانية، وكان سيد الجدل والمناظرة، وكان التدخين وارتداء ملابس الهيبيين ممنوعيْن منعاً مطلقاً أثناء محاضراته... كما أنه كان متعجرفاً، مما جعل الناس يكرهونه بمن فيهم أزرا ونثروب... تم انتقاؤه من لدن هذا (أي أزرا ونثروب) موفدا إلى وسكونسن، فقصد مكتبه، وشكره، وودعه.

*_**أزرا ونثروب**:دكتور وأستاذ اللغة الإنجليزية القديمة بجامعة تكساس في أوسطن، وهو رجلٌ طويلٌ قليلاً، ورشيقٌ أكثر مما هو قوي، وذو شعر أشيب. كان لا يسأل طلبته أي سؤال يوم الامتحان، وكان يترك لهم اختيار أحد المواضيع والتوسع فيه... وينكر الإيمان التطهريَّ عند أسلافه. كلفه لي روزنتال باختيار موفد علمي إلى وسكونسن، فوقع اختياره على إريك أينارسن.

*_**يودورو أسيفيدو**:أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب الأمريكي، وكاتب قصص خيالية. ولد بمدينة بوينس أيرس سنة سبع وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية (1897م)، ويبلغ من العمر سبعين عاماً.

*_**خافير أوتالودا**:شخصٌ كولومبيٌّ، كان أستاذا في جامعة أندز بمدينة بوغوتا، بقي أعزبَ وحيدًا سنواتٍ عديدةً، ثم التقى بالفتاة أولريكا في ردهة صغيرة بالنزل الشمالي خارج أسوار مدينة يورك، وتعلق بها.

*_**دون أليخاندرو غلينكوي**:رئيس المجلس، ينحدر من دولة الأروغواي، وهو مزارع، يملك مساحةً أرضيةً واسعةً، تبلغ حدود دولة البرازيل... أراد أن ينضم إلى المجلس القومي الأورغوايي، غير أن الزعماء السياسيين وقفوا في وجهه، فعزم على تأسيس مجلس آخرَ يشمل نطاقاً واسعاً، مجلس عالمي يضم الناس جميعاً من الأمم كلها. عقدت الاجتماعات التحضيرية له في كازينو القنديل، وتم الافتتاح الرسمي بعد حوالي أربعة أعوام في مزرعته لاكاليدونيا، وانتهى الأمر بانضباط أعضائه انضباطاً عجيباً يكاد يكون سحريّاً.

خلال الإِجتماعات الأسبوعية في المجلس، كان دون أليخاندرو غلينكوي يبدو إنساناً قويّاً طويلاً مريحاً متحفظاً مترويّاً مهذباً، ومتقدماً في السن، وذا جبين عريض وشعر خفيف وعينين رماديتين ولحية رمادية تميل إلى

الحمرة، وقليل الكلام. يتزلف أغلبية أفراد المجلس إليه، ويبتغون رضاه، ويرتدي دائماً كنزةً صوفيةً سوداءَ، ويعقد يديه على رأس خيزرانته... وفي مزرعته، كان يظهر مثل رئيس عصابة، ومالكاً إقطاعيّاً ذا وجه متجهم، يقرأ صباح كل يوم أحدٍ الكتابَ المقدس على عماله الذين لم يكونوا يفهمون ولو كلمة واحدة منه، ويفض اشتباكاتِهم بنفسه.

بعث وفوداً إلى مدينتي باريس العاصمة الفرنسية ولندن العاصمة الإنجليزية لجمع المعلومات، واشترى كتباً كثيرةً... ذات مرة، جاء عَدْواً، وكان صوته مختلفاً، وأمر الجميع بإخراج صناديق الكتب من القبو، وبإشعال النار فيها كلِّها، وانتشى بمشهدها، وأخبرهم بأنه باع مزرعته وماشيته، وصعد عربة مكشوفة، وأمر الحوذي بأن يتجول به في المدينة، وأن يأخذه حيث شاء... توفي عام أربعة عشر وتسعمائة وألف ميلادية (1914م)، ودفن في مونتفيديو.

***ـ ألياندرو فيري:** جاء مدينة بوينس أيرس صبيّاً معدماً سنة تسع وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية (1899م). وكان رجلاً مغموراً أعزب، يعيش وحيدا، اِقترب من الحادية والسبعين أو الثانية والسبعين من عمره. يعتبر الشخصَ الوحيدَ في العالم كله الذي يحتفظ بأحداث المجلس السري (مجلس العالم)، لأنه آخر أعضائه، فقد انضم إليه يوم السابع شباط من عام أربعة وتسعمائة وألف ميلادية (9 شباط 1904م)، وأقسم مع بقية الأعضاء بأقدس ما لديهم بأن لا يفصحوا عن تاريخه، وأن لا يبوحوا بأسراره، لكنه حنث، وسرب خفاياه...

اِنخرط في المجلس ليلة يوم سبت، إذ حضر أحد اجتماعاته بمقصف/كافيتيريا القناديل، ورأى خمسة عشر أو عشرين عضواً من أعضائه، ينتظمون أمام طاولة واحدة، وتعرف رئيسَه وبعضَ مساعديه، وأدرك أنه ملزم بعدم السؤال، ولم يتغيب خلال أي اجتماع، وكان يحترمه رئيس المجلس، ويتودد إليه، لأنه لم يكن يتملق إليه، ودعاه إلى قضاء أيام في لاكاليدونيا مزرعته...

أُرْسِل في وفدٍ علميٍّ إلى مدينة لندن في كانون الثاني/يناير سنة اثنتين وتسعمائة وألف ميلادية (كانون الثاني 1902م)، واستقر في بيتٍ متواضعٍ خلف المتحف البريطاني، وشرع يدرس في المكتبة باحثاً عن لغةٍ قمينةٍ بأن تكون لغة مجلس العالم، ولم يغفل اللغاتِ العالميةَ مثل الفولابوك[5] والإسبرانتو[6]، وأعد تقريراً في الموضوع، ثم قفل إلى الأرجنتين ذات يوم خميس...

***ـ خوزيه فرناندیز أيرالا:** مواطن أرجنتيني فقير، كان متحمساً مخلصاً للمجلس، ومؤمناً بأفكاره، حتى درجة أنه رفض مبلغه المادي منه... اِحترمه رئيس المجلس، وتودد إليه، لأنه لم يكن يتملق إليه، ودعاه إلى قضاء أيام في لاكاليدونيا مزرعته...

اِنتظر أليخاندرو فيري على الساحل الأرجنتيني لما عاد من إنجلترا... والتقيا بعد انتهاء أمر المجلس، ولم يتحدثا عنه إطلاقاً حفاظاً على حرمته، وتوفي سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وألف ميلادية (1913م).

*_**تويرل**:شخص أصغر سنّاً من دون أليخاندرو غلينكوي، يجلس إلى يساره أثناء الاجتماعات، ويتقرب كثيراً منه، ويشير بأمورٍ عديدةٍ عليه، فيستجيب له... كان مظهره هشّاً، وقامته طويلةً جدا، وشعره أحمرَ شبيهاً بالنار، وشاربه ملتهباً، يعبث دائما ببوصلةٍ نحاسيةٍ في يده، ويتمتع بذهنية تتميز ببعد النظر... قُتِل أواخرَ سنة أربع عشرة وتسعمائة وألف للميلاد (1914م) وهو ضمن أفراد المشاة في كتيبة إيرلندية.

*_**فيرمين أيغورين**:إبن أخت الرئيس دون أليخاندرو، كان يجلس على يمينه باستمرار في المجلس. وهو شابٌّ طويل الوجه، ذو جبينٍ ضيقٍ بشكلٍ غريبٍ، مزهو بكونه من الأورغواي، وينحدر من أسرة عريقة، ويجذب النساء، ويختار خياطا غالي الكلفة، ومن أصل باسكي... ذهب في بعثةٍ علميةٍ إلى مدينة باريس الفرنسية، وبدد أموالاً طائلةً في القارة الأوروبية، وتلكأ في العودة إلى الوطن، ومات في بونتاديل أستي...

*_**نيرنشتاين**:كان يعمل في مكتبة، فطالب الأعضاءَ بالكتب والموسوعات الكبيرة، واستاء حين أقدم دون أليخاندرو غلينكوي على حرق مكتبة المجلس. اِلتقاه أليخاندرو فيري ذات مرة ودون موعد مسبق في شارع ليما، فتظاهر كل منهما بعدم رؤيته الآخر.

*_**غونلاوغ**:ملك الأورنيين وحاكمهم، كان يشك في الناس الغرباء، ويصلبهم. لما مثل أولف سغوردسن بين يديه، ألفاه متوعكاً شاحبَ اللون هزيلاً، تبدو على صدره الندب القديمة، ويضطجع ومقلتاه نصف مُصَوَّبتين صوب جمل يتوارى فوق ما يشبه منصة، ورأى تحت وسادته حد خنجر، وعلى يمينه شطرنج فيه مائة مربع ومجموعة من القطع المتفرقة. فسح المجالَ أحدُ الجند، وأحضر بعضهم قيثارة، فترنم أولف سغوردسن راكعاً بقصيدته بصوتٍ خفيضٍ أمام الملك، فمنحه خاتمَه الفضيَّ الذي فيه رقيته.

*_**أولف سغوردسن**:رجل كنيسة إيسلندي ذو كلماتٍ محسوبةٍ رزينةٍ... ذهب إلى بلاد الأورنيين في رحلة استغرقت عاما، وألف قصيدة غنائية (درابا) تشيد بانتصارات ملكهم غونلاوغ ورحمته ورأفته وأمجاده تجنباً لعقابه... وعمل مجدفاً ونخاساً وعبداً وحطاباً ومغنيّاً وفاحص المياه العميقة والمعادن، وذاق مرارة الأسْر، وأمضى سنة في مناجم الزئبق، وحارب إلى جانب السويديين في الحرس الفارانغاري في ميكليغارذر، وأحبته امرأة زنجية على شواطىء بحر أزوف، ثم تركته... قفل إلى أرض الأورنيين، فوجد الشاعرَ والمغني بخاربي ثوركيلسن قد هرم.

*_**بخاربي ثوركيلسن**:شاعرٌ ومغنٍّ إسكندنافيٌّ، جلس بين يدي الملك من غير أن يركع، وغنى بلحنٍ رتيبٍ لامتناهٍ... وضع يده على كتف أولف سغوردسن، وأنبأه حياتَه في خطر، وأنه سيخفيه في بيته، ثم يبحران يوم الغد نَهْراً باتجاه الجنوب.

*_**غلينكوي الأب**:مات، وترك ابناً (دون أليخاندرو غلينكوي)، وبنتا تزوجت من أيغورين، فأنجبت منه فيرمين أيغورين.

*_**نورا أيرفخورد**:تنتمي إلى دولة النرويج، كانت جميلة، وترفض الارتباط بأي أحد. كانت السكرتيرةَ والمرأةَ الوحيدةَ العضوَ في المجلس، وكان عملها مضنيا شاقا، واستقالت في ما بعدُ من منصبها.

*_**بياتريس فروست**:شابةٌ إنجليزيةٌ جميلةٌ طويلةٌ أنيقةٌ، ذات شعر أحمر، لم تتجاوز العشرين من عمرها. جاءت من إحدى المقاطعات الشمالية إلى لندن، لتدرس الأدب في الجامعة. اِلتقى بها أليخاندرو فيري تحت قبة غرفة المطالعة العالية، وصارا عاشقين، وطلب منها الموافقة على الزواج منه، فرفضت، لأنها لم تكن ترغب في أن ترتبط بأحد.

*_**أولريكا**:فتاةٌ نرويجيةٌ هيفاءُ طويلةٌ، لها ملامحُ حادة وعيون رمادية وهيئة موحية بالسر الهادىء... كانت تتشح بالسواد، وتبتسم بيسر، وتتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة، وتجهر بحرف الراء بنعومة، وكانت تحب التَّجوال وحيدة.

*_**ثابيا أو باريديس**:رجلٌ ضخمٌ جدّاً، كان مشهوراً بالعراك. اِعترض سبيل كل من أليخاندرو فيري وفيرمين أيغورين وخوزيه فرناندیز أيرالا في شارع خونين وهو يحمل سكيناً لامعاً، فمد أليخاندرو يده إلى إبطه متظاهراً بأنه سيخرج سلاحاً، فخاف الرجل، وحياه بحرارة، وذكر أنه كان ينوي اختبارهم فقط...

ب_الشخصيات المتخيلة

*_**الرجل المستقبلي**:شخص عاش أربعة قرون، وهو فارع الطول، وملامحه حادة، ومحياه قاتم شاحب، وأصابع رجليه طويلة جميلة. يقطن بيتاً منخفضاً تلفه الأشجار، ويرتدي ملابسَ رمادية، ويتكلم اللسان اللاتيني...

زاره يودورو أسيفيدو في منزله، فأخبره أن إعادة القراءة أفضل من القراءة، وأن الطباعة كانت أحد أسوأ شرور البشرية، وأن الأسفار إلى الفضاء توقفت منذ قرون، وأن كل شخص ينتج بنفسه ما يحتاجه، وأن الحكوماتِ سقطت في الإهمال التدريجي، وأن الصِّحافة امتنعت عن نشر صور الزعماء وأخبارهم، فتحول بعض السَّاسة إلى كوميديين جيدين، وصار بعضهم دعاة إيمان جيدين... وأراه لوحاتٍ تكاد تكون فارغة، وبين له أنها مرسومة بألوان لا تستطيع عيناه اللتان تنتميان إلى الماضي رؤيتَها، وأهداه إحداها.

*_**خورخي لويس بورخيس الشاب**:رأى خورخي لويس بورخيس الرجل في شكل حلمٍ شخصاً آخرَ في العشرين من عمره، يجلس على حافة المقعد الأخرى، ويشرع في الصفير، فرجع به إلى فناء دار معينة اختفت منذ وقتٍ بعيدٍ بمدينة بوينس أيرس، وأيقظ في ذهنه ذكرى ابن عمه الذي قضى قبل سنين عديدة، ثم أخذا بأطراف الحديث، فتبين أنه بورخيس الشاب الذي ما يزال في مدينة جنيف (الأنا الآخر)...

أخبر بورخيسُ الرجلُ بورخيسَ الشابَّ عن ماضيه الذي هو مستقبله، وأنه سيكتب قصائدَ تمنحه المتعة والشهرة، وأنه سيؤلف قصصاً ذات طبيعةٍ فنطازيةٍ، وأنه سيمارس مهنة التعليم... وأدرك أنهما مختلفان جدا ومتشابهان جدا، واستحال عليهما أن يستمرا في حديثهما، واستعصى على الرجل أن يسديَ النصح للشاب...

اِفترقا دون أن يصافح أحدهما الآخر، واتفقا على أن يلتقيا اليومَ الموالي على المقعد نفسه الموجود في مكانين متباينين وزمانين مختلفين، غير أنهما لم يحضرا في الغد.

ثانيا:_كتاب الرمل:_العلاقات بين الشخصيات

***_خورخي لويس بورخيس الرجل/خورخي لويس بورخيس الشاب:_علاقة الاِنزعاج والتوتر والإعجاب والرهبة المروعة:** في حوالي الساعة العاشرة صباحا، كان خورخي لويس بورخيس الرجل جالساً على أحد المقاعد المطلة على نهر تشارلز بالقرب من إحدى البنايات الشاهقة، فقعد خورخي لويس بورخيس الشاب أمامه على حافة المقعد الأخرى في ما يشبه الحلم...

شرع بورخيس الشاب يصفر، فأحس بورخيس الرجل بالاِنزعاج والتوتر الشديدين من صفيره... تجاذبا أطراف الأحاديث بينهما، وأنشد الرجلُ الشابَّ بيتا شعريا، فأعجب به، وانتابه شيءٌ من الرهبة المروعة، وكرره بصوت منخفض متذوقاً جمالَ كل عبارة فيه، واعترف له أنه لا يقدر على كتابة بيت شبيه به.

***_خافير أوتالودا/أولريكا:_علاقة التحدث والتَّجْوال والحب:** اِلتقى خافير أوتالودا الفتاةَ النرويجيةَ أولريكا في ردهة صغيرة بالنزل الشمالي خارج مدينة يورك، فاستحضر بيتا شعريا لصاحبه بليك، يصف فيه الفتيات المجبولات من اللجين المعتدل أو الذهب الغاضب، فرأى فيها الذهب والاعتدال معا...

تحدثا على طاولة الطعام، وتعارفا، ثم أخبرته بأنها تفضل الخروج للتجوال، فخرجا من النزل، ومشيا فوق الثلج الغزير، وتبادلا الحب.

***_فيرمين أيغورين/أليخاندرو فيري:_علاقة الاِحتقار وعدم الاِحترام والعداوة:** كان فيرمين أيغورين يحتقر أليخاندرو فيري، وينتقص من شأنه، ولا يحترمه، ويصفه بأنه يمثل الغرينغوز[7] في مجلس العالم، ولم يكن يحتمل أن يراه... ذات مرة، وبعد أحد الاجتماعات، ذهب كل من أيغورين وفيري وخوزيه فرناندیز أيرالا إلى ماخور من مواخير شارع خونين، فاعترض طريقَهم رجلٌ ضحم جدا مشهور بالعراك، اِسمه ثابيا أو باريديس، وأشهر في وجوههم سكيناً حادّاً، وهددهم به، فخاف أيغورين، وتراجع إلى الوراء، وطغى حقدُ فيري على خوفه، ومد يده إلى إبطه متظاهرا بأنه سيخرج سلاحاً، وصرخ في وجه الرجل، مما جعله (أي الرجل) يضحك بتودد، ويغير لهجته تجاههم، ويدعي أنه كان ينوي اختبارهم فقط...

واصل الثلاثة طريقهم، وأحس أيغورين بالإحراج أمام فيري خاصة، ولم يغفر له مشاهدته إياه وهو يتراجع، ونشأ بينهما شيءٌ من العداوة.

***_تويرل/دون أليخاندرو غلينكوي:_علاقة التزلف والتدبير والموافقة:** كان تويرل يتزلف لدون أليخاندرو غلينكوي بشكلٍ مبالغٍ فيه على مرأى من بقية أعضاء المجلس، ومسمع منهم، ويتقرب منه كثيرا، ويقترح

عليه مناطق توسع جديدة، ويبين له أن التكاليف المادية تقع في متناول موارده المالية، فكان غلينكوي يعجب بآرائه واقتراحاته، ويوافق دائما عليها.

***_دون أليخاندرو غلينكوي/أليخاندرو فيري/خوزيه فرناندیز أيرالا:_علاقة التودد والاِحترام:** لم يكن أليخاندرو فيري وخوزيه فرناندیز أيرالا يتملقان لدون أليخاندرو غلينكوي، فكان يتودد لهما تودداً شديداً، ويحترمهما احتراماً فائقاً، ويقدرهما تقديراً كبيراً، ودعاهما معا إلى قضاء أيام في مزرعته لاكاليدونيا.

***_دون أليخاندرو غلينكوي/العمال/أعضاء المجلس:_علاقة الأمر والطاعة والاِمتثال:** تشاجر أحدُ عمال النهار وأحدُ المساعدين الاعتياديين في مزرعة دون أليخاندرو غلينكوي، واشتبكا بالسكاكين، فقام بهدوء، وسحب سلاحه، وسلمه رئيسَ العمال، ووقف بينهما، وأمرهما بصوت منخفض بأن يلقيا حالا سكينيهما، وأن يتصافحا، وأن يكونا لطيفين، فامتثلا لأوامره، وأطاعاه طاعةً عمياء...

ذات مرة، جاء غلينكوي عَدْواً، ودون أن ينظر إلى أحد من أعضاء المجلس، أصدر أوامره لهم بأن يخرجوا صناديقَ الكتب كلَّها من القبو، وأن يضرموا النار فيها، فاستجابوا له حينا، وقاموا بتكويم الكتب في الفناء، وأحرقوها تلبيةً لرغبته، ثم أمر الحوذي أن ينطلق بهم في العربة، وأن يتجول بهم في المدينة، وأن يتجه بهم أين ما شاء، ففعل ذلك.

***_أليخاندرو فيري/بياتريس فروست:_علاقة العشق وعدم الزواج:** حل أليخاندرو فيري مبكراً بمدينة لندن في شهر كانون الثاني سنة اثنتين وتسعمائة وألف ميلادية (1902م)، والتقى الشابةَ الإنجليزيةَ الغضةَ الجميلةَ بياتريس فروست أول مرة تحت قبة غرفة المطالعة العالية... خلال عدة أمسيات، صارا عاشقين، وتعلقا ببعضيهما، واحتفلا بأعياد الميلاد معا، فطلب منها بأن توافق على الزواج منه، لكنها رفضت، لأنها كانت من أتباع ما بشر به إبسن، ولم تكن ترغب في الارتباط بأي شخص...

حزم أليخاندرو أمتعته قافلاً إلى بلده بحراً، فأبت بياتريس القدوم إلى الباخرة لتوديعه بحجة أن الوداع مثير جدا، وأنه مهرجان من التعاسة لا معنى له، وأنها تكره الإثارة، فافترقا في المكتبة، ولم تمنحه حتى عنوانها تفاديا لعذاب انتظار الرسائل.

***_يودورو أسيفيدو/ الرجل المستقبلي:_علاقة الرعب والاِرتباك والاِطمئنان:** كان يودورو أسيفيدو يتجول في السهل المترامي الأطراف بالأجنتين، وبدأ المطر يتساقط، ورأى ضوءاً يصدر من بيتٍ منخفضٍ تحيط به الأشجار، وفتح البابَ الرجلُ المستقبلي، فأثار رعبَه طولُه الفارع وملامحُه الحادة المتميزة...

ولج الاِثنان غرفة طويلة، جدرانها من خشب، وبها منضدة وكراس، ويتدلى مصباح من سقفها، وانتصبت فوق الطاولة ساعةٌ رملية، ثم جلسا، وأخذا يتحدثان، فارتبك أسيفيدو، ولاحظ الرجل ارتباكه، فأنبأه بأنه لن يمكث طويلا معه، وأنه سيعود قريبا إلى بيته، فشعر بالراحة، واطمأنت نفسه.

***_السارد/أزرا ونثروب/هربرت لوك:_علاقة العلم وعدم الاِختلاف والإهداء:** خلال نهاية سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف ميلادية (1961م)، اِجتمع السارد بالدكتور أزرا ونثروب في جامعة تكساس بمدينة أوسطن الأمريكية، وتحدثا بتفصيل، فتذكر حينها أنه صحح له أخطاءه الكثيرة بطريقةٍ علميةٍ دون أن يختلف معه، وقوَّم له مسلسلَ افتراضاته الخاطئة التي كان يقرنها باللغة... وتذكر أيضا زميلَه هربرت لوك الذي أهداه نسخة من كتابه (نحو تاريخ للمجاز).

خلاصة:

لقد وظف الأديب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس في مجموعته القصصية "كتاب الرمل" شخصياتٍ واقعيةً حقيقيةً، وحدد أسماءَها المعروفة، وبعضَ تواريخ ما قامت به من أحداث... فهو مثلاً في قصة "الآخر"[8]، يسمي نفسه باسمه الحقيقي (خورخي لويس بورخيس)، ويسرد أنه جاء القارة الأوروبية سنة أربع عشرة وتسعمائة وألف ميلادية (1914م)، وأنه كان بالضبط في مدينة كامبرج سنة تسع وستين وتسعمائة وألف ميلادية (1969م)، وعمره سبعون عاماً تحديداً... وهذا أمرٌ يقينٌ علماً أنه ولد سنة تسع وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية (1899م).

وفي قصة "الرشوة"[9]، يذكر أسماء بعض الأساتذة المتميزين المعروفين الذين كانوا يدرسون في جامعة تكساس بأوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، منهم أزرا ونثروب، وهربرت لوك، وإريك أينارسن، ولي روزنتال... ويشير إلى بعض مؤلفاتهم في حقل الأدب، ويتحدث عن بعض مواقفهم وطباعهم... وهو بهذا يكون قد أخفى في طيات قصصه هاته وقائعَ من حياته الشخصية ومن حيوات غيره...

وفي المقابل، فقد وظف شخصياتٍ متخيَّلةً، حلم بها، وأملاها عليه خياله الواسع المجنح، وجادت بها عليه قريحته الجياشة المتفجرة... إذ إنه في قصة "الآخر"، يحلم يَقِظاً بخورخي لويس بورخيس الشاب يأتيه وهو في السبعين من عمره، ويجلس بالقرب منه فوق أحد المقاعد المطلة على نهر تشارلز، ويدور بينهما حوار، يرتد عبره خورخي لويس بورخيس الرجل إلى شبابه، ويعود من خلاله إلى الوراء، إلى ماضيه، وإلى مرحلة معينة من حياته... ثم ما يلبث أن يعرب عن أن هذا اللقاء كان مجرد حلم فقط، فيقول:

"إذا كان هذا الصباح وهذا اللقاء حلمين، فعلى كلينا أن يظن أنه الحالم. وربما توقفنا عن الحلم، وربما واصلناه. وواجبنا الجلي ،في الوقت نفسه، هو أن نقبل بالحلم تماما كما نقبل بالعالم وبأننا نولد ونرى ونتنفس"[10]...

إن بورخيس يرتمي بين أحضان الحلم، وفي ذلك حنين كبير، يذبح قلبه، ويفرض عليه أن يعود إلى شبابه، فيخبرَه بما صنعه به مشيبه، فهو قد ختم عقده السابع، واشتعل رأسه شيباً، وبدأ يحس بالتعب والإرهاق، ويفضل المكوث وحيداً منعزلاً، فيجلس على كرسي، لكن بورخيس الشاب ابن العشرين سنة يقتحم عليه خلوته، ويصفر صفيراً يزعجه...

وفي قصة "يوتوبيا رجل متعب"[11]، يحكي أنه التقى شخصاً مستقبليّاً غريباً في كل شيء، غريباً في لسانه وملابسه وعمره وبنيته الجسدية وملامحه ووجهه وأصابعه وطريقة عيشه ومسكنه وآثاثه وفنه... لكنه على الرُّغم من ذلك، فقد اطمأن إليه، وأعجب به، يقول:

"أعادت الثقة الواضحة في صوته الطمأنينة إلى نفسي. (...). فكرت أن رجال المستقبل هؤلاء لم يكونوا أطول فقط، بل كانوا أبرع أيضا. ونظرت تلقائيا إلى أصابع الرجل الطويلة الجميلة."[12]

يسافر بورخيس إلى الأمام في المستقبل، ويبحر عبر رحلةٍ خرافيةٍ خياليةٍ إلى عهد ما زالت البشرية لم تبلغه بعد، وينتقل من زمانه الذي يحيا فيه إلى زمانٍ آخرَ موغلٍ في المستقبل البعيد بمئات القرون... ولعله بهذا يرنو إلى نقد هذا الواقع المرير المليء بالصراعات والمثخن بالمتناقضات، ويسعى إلى تشييد صرح مجتمعٍ فاضلٍ بديلٍ... فيعتبر الطباعة مثلا أحد أسوأ شرور البشرية، ويتنبأ بتوقف الأسفار إلى الفضاء، ويبرز أن كل شخص سينتج بنفسه ما يحتاجه، وأن الحكوماتِ والأنظمةَ سيلفها طيُّ الإهمال التدريجي والنسيان، وأن الصِّحافة ستمتنع عن نشر صور الزعماء وأخبارهم، وسيفتضح أمرهم، فيتحول بعضهم إلى كوميديين جيدين، ويصير بعضهم دعاة إيمان جيدين...

إن الحلم تقنيةٌ أحبها خورخي لويس بورخيس، وتماهى في بلورتها في معظم أعماله، يقول:

"قيض لي أكثر من مرة أن أقرأ ترجمة أنطوان غالان لألف ليلة وليلة. اِكتشفت أشياء كثيرة لكنني حلمت بشيء واحد، هو أن أملك بساطاً سحريّاً، ينقلني إلى كل الأمكنة وإلى كل الأزمنة، لم يكن تحقيق هذا ممكنا فأطلقت لخيالي العنان"[13]...

ولقد جمعت هاته الشخصياتِ علاقاتٌ مختلفة، تراوحت بين العلم والتدبير والاِحترام والحب والإعجاب والإهداء والتَّجوال والموافقة والطاعة والاِطمئنان، وبين الأمر والرعب والرهبة والعداوة والاِنزعاج والتوتر والاِرتباك والاِحتقار والتزلف والتودد والاِمتثال.

وخلاصة القول، إن ذات بورخيس تنشطر على ذاتها، لتصبح ذاتين أو أكثر، فتنكفيء تارة على نفسها، وتدبر، وتحجم إلى الوراء باحثةً عنها في ماضيها، وتقدم تارة أخرى، وتقبل على المستقبل، لتستشرفه، وتحقق فيه ما لم تحققه في واقعها...

المراجع:

أ_باللغة العربية:

– خورخي لويس بورخيس:كتاب الرمل. ترجمة:سعيد الغانمي. الناشر:دار أزمنة للنشر والتوزيع، الطباعة:شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان_الأردن. الطبعة الأولى:منارات 1990م، الطبعة الثانية:أزمنة كانون الثاني 1999م.

ب_باللغة الفرنسية:

- Oswald Ducrot _Tzvetan Todorov:Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Collections Points, Editions du Seuil, 1ère publication, Paris_France 1972.

الإحالات:

[1]_Oswald Ducrot _Tzvetan Todorov:Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Collections Points, Editions du Seuil, 1ère publication, Paris_France 1972, Pages:286 et 288.

[2]_خورخي لويس بورخيس:كتاب الرمل. ترجمة:سعيد الغانمي. الناشر:دار أزمنة للنشر والتوزيع، الطباعة:شركة الشرق الأوسط للطباعة، الطبعة الأولى:منارات 1990م، الطبعة الثانية:أزمنة_كانون الثاني 1999م، عمان_الأردن.

[3]_عنوان الكتاب الأصلي باللغة الإسبانية "El libro de arena"، وباللغة الإنجليزية "The book of sand"، وباللغة الفرنسية "Le livre de sable".

[4]_خورخي فرانسيسكو إسيدورو لويس بورخيس أسيفيدو/

Jorge Francisco Isidoro Luis Borges Acevedo

أديب أرجنتيني، ولد بالعاصمة الأرجنتينية مدينة بوينس أيرس يوم الرابع والعشرين غشت من سنة تسع وتسعين وثمانمائة وألف ميلادية (24_08_1899م). تنقل بين بعض دول القارة الأوروبية مثل سويسرا وإسبانيا وبريطانيا، وأمريكا الشمالية، ومُنِحَ عدة جوائزَ وأوسمة، وعده النقاد من أبرز المؤثرين في أدب أمريكا اللاتينية وأدبائها... خلف كتباً عديدة، منها:_حماس بوينس أيرس _متاهات _تقرير الدكتور برودي _تاريخ عالمي لسوء السمعة _كتاب المخلوقات الوهمية _الألف _كتاب الأحلام _الصانع _وسم السيف _سداسيات بابل _صنعة الشعر _مرآة الحبر _قصص _تسعة اختبارات دانتية _سبع ليال... وتوفي يومَ الرابعَ عشرَ يونيو من عام ستة وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية (14_06_1986م) بمدينة جنيف، ودفن بمقبرة الملوك فيها...

[5]_الفولابوك/Volapuk:لغة عالمية، ترتكز على اللغة الإنجليزية في الدرجة الأولى، والألمانية والفرنسية واللاتينية، وضعها الأسقف الكاثوليكي الألماني يوهان مارتن شيلر سنة:1879م، وبوفاته سنة:1912م، تفرق أتباعها...

[6]_الإسبرانتو/Esperanto:لغة عالمية، تعتمد مختلِف اللغات العالمية جذورا لها، وتتميز بسهولة التعلم والبساطة والمنطقية، وضعها الأستاذ لودفيغ أليعزر زامنهوف سنة:1887م، ولم يكتب لها النجاح...

[7]_الغرينغوز:لقب احتقار وانتقاص، ينعت به في أمريكا اللاتينية غيرُ الناطقين باللغة الإسبانية عامة، ورعايا الولايات المتحدة الأمريكية خاصة...

[8]_ خورخي لويس بورخيس:كتاب الرمل. صص:13_.19

[9]_ المرجع نفسه. صص:73_.78

[10]_ نفسه. ص:.15

[11]_ خورخي لويس بورخيس:كتاب الرمل. صص:67_.72

[12]_المرجع نفسه. صص:68_.69

[13]_نفسه. ص:7 (مقدمة المترجم).